ظاهرة الإتباع الحركي في أداءات القراء بالشاذ و أثرها في الانسجام الصوتي.

Phenomenon of Kinetic Follow-up in the Performance of Offbeat Readers and its Impact on the Phonetic Harmony.

أ.د. جمال كويحل

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، djamelkouihal@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2023 /12/04 تاريخ القبول:2024/04/14

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة ظاهرة إتباع الحركات في أداء القراء بالشاذ، وكيفية تعرُّض اللّغة العربية لها ومدى تأثيرها على قوانينها الصوتية. وتحدث هذه الانحرافات النطقية في الصوائت القصيرة، وتتّخذ صورا غير صورها الحقيقية فتنشأ عنها مصوتات قصيرة جديدة نتيجة تأثير بعضها في بعض بحثا عن الخفّة في الاستعمال اللّغوي، والتّناسب الصّوتي الّذي يستقيم به لسان هذه القبيلة أو تلك، ويحقق لها السهولة في النطق ويوفّر لها وقتا أقصر وجهدا عضليا أقلّ.

الكلمات المفتاحية: الحركات؛ أداء القراء بالشاذ؛ الانحرافات النطقية؛ الخفة في الاستعمال اللغوي؛ التّناسب الصوتي.

Abstract

The main aim of this study is to scrutinize the linguistic kinetic/ kinetic follow-up phenomenon in the Performance of offbeat readers. In fact, a phenomenon / occurrence faces Arabic language at the phonetic level / rules. These irregularities/ deviations happen in short sounds and take other realizations rather than real ones. So that new short sounds are created due to the impact of one on another for the sake of lightness in the linguistic use, and phonetic harmony that suits the tongue of a particular tribe or another. Further, it guarantees easiness in pronunciation and provides little time and less physical effort.

Key terms: Linguistic kinetic, offbeat readers performance, phonetic deviations, lightness in linguistic use, phonetic harmony.

1. مقدمة:

الإتباع الحركي ضرب من ضروب التأثر الصوتي بالصوائت القصيرة بين الصوامت المتجاورة بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، أو هو ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات؛ فالكلمة التي تشمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية دون أن يؤدي ذلك إلى اختلاف في المعنى.

تتعرّض اللّغة العربية في قوانينها الصوتية إلى بعض الانحرافات في أداءاتها النطقية خاصة ما تعلّق بالصوائت القصيرة حيث تتّخذ صورا غير صورها الحقيقية فتنشأ عنها حركاتٌ جديدة نتيجة تأثير بعضها في بعض بحثا عن الخفّة في الاستعمال اللّغوي، والتّناسب الصّوتي الّذي يستقيم به لسان هذه القبيلة أو تلك، ويحقق لها السهولة في النطق ويوفّر لها وقتا أقصر وجهدا عضليا أقلّ، وهذا ما يسمّى بالإتباع الحركي وهو ضرب من ضروب التأثر الصوتي بالصوائت القصيرة بين الصوامت المتجاورة بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، أو هو ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات، قال أحد الباحثين:" والّذي ندّعيه أنّ هذه الصور من الحركات كانت ألوانا من الأداء تعكس اختلاف القبائل العربية في نطق هذه الحركات، أو قل هي الأصوات المختلفة لهذه الحركات"(خاطر 1979 ص:124)

هدفت هذه الورقة البحثية إلى التأمل في التغيرات الأدائية في الصوائت القصيرة، والتي تظهر بشكل جلي عند القراء بالشاذ، وفي دوافعها التي أُسّست عليها قواعدها للتحقق منها.

فجاءت الإشكالية الآتية: ما هي ظاهرة الإتباع الحركي؟ وهل هذه الانحرافات الصوتية التي جنح لها القراء بالشاذ لها ما يبررها رغم مخالفتها لقوانين اللّغة الصوتية؟ وما العلاقة بين الإتباع الحركي والانسجام الصوتي؟ ومن أجل مناقشة هذه الإشكالية

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم جمع القراءات التي احتوت على هذه الظاهرة وتحليلها، وتحديد مدى تأثير ظاهرة الإتباع الحركي على الانسجام الصوتي في اللغة العربية.

2. الانسجام الصوتي لغة واصطلاحا:

عند تتبعنا لمعاجم اللغة نجد أنها تتفق حول المعنى اللغوي للانسجام وهو القطران والسيلان والانصباب، جاء في لسان العرب " سَجَمت العين والدمع، والسحابة الماء تسجُمهُ سَجْماً وسُجوماً... وهو قطران الدمع وسيلانه قليلاً كان أو كثيراً، ... وكذلك عينٌ سَجوم وسحابٌ سَجوم، وانسجَمَ الماءُ والدمع فهو منسجم...وسَجَمت السحابةُ مطرها... إذا صبَّتهُ.... وانسجم الماء والدمع: انصبّ، والانسجام: الانصباب، وهو يعني أيضاً أن يأتي الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ)) ابن منظور (د.ت) ج: 6، ص:183.

وهذا المعنى اللغوي يوافق جريان الألفاظ وانصبابها في الكلام في تتابع وانتظام دون انقطاع حتى يتم المعنى. وجاء في معجم اللغة العربية المعاصر "انسجم الكلام: انتظم ألفاظ أو عبارة من غير تعقيد كان سلسا أنيقا، متوافقا في الأفكار والشعور والميول.

(عمر2008 مج2، ص:1037).

وأما في الاصطلاح فهو ظاهرة صوتية تمس التطور في الصوائت القصيرة للكلمات التي تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة والمقاطع المتجاورة، وتميل في تطورها إلى التوافق الحركي والاقتصاد في الجهد المبذول. وسماه ابن جني التجنيس، وقال فيه: إنّه ((تقريب صوتٍ من صوت)) ابن جني (د-ت) ج2، ص143. وقال الأخفش:" .... وإذا استأنفت تقول: أُرْكُض برجلك... و إنما ضُمت هذه الآلف إذا كان الحرف الثالث مضموما؛ لأنهم لم يروا بين الحرفين إلا حرفا ساكنا، فثقل عليهم أن يكونوا في كسر ثم يصيروا إلى ضم

فأرادوا أن يكونا جميعا مضمومين إذا كان ذلك لا يغير المعنى" الأخفش، (1990) ج:1، ص: 4.

وعرَّفه خليل إبراهيم العطية بقوله: "إنَّها ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة نزوعاً إلى التوافق الحركي واقتصاداً في الجهد المبذول" العطية (1983) ص: 75.

فالبحث عن الانسجام الصوتي في أصوات الكلمات أدّى إلى تفشي ظاهرة الإتباع الحركي في كثير من اللهجات العربية، وتسربها إلى أداء القراء بالشاذ خاصة، بل إنّ أبا علي الفارسي يرى أنّ الانسجام والإتْباع مصطلحان مترادفان، وكل منهما سبب ومسبب في الوقت نفسه.

3. الإتْباع في اللّغة والاصطلاح:

الإتباع في اللغة هو :((تبعَ الشئ تَبَعاً وتِبَاعاً في الأفعال، وتَبِعتُ الشئَ تُبُوعاً سِرْتُ في أثره، وأتَّبَعَهُ وأتْبَعهُ وتتبَّعَهُ قفَاه وتطلّبهُ مُتَّبِعاً له، ...قال سيبويه: تتبَّعهُ اتباعاً لأنَّ تتبّعت في معنى اتّبعت، وتَبِعتُ القوم تَبَعاً وتَباعةً بالفتح إذا مشيتُ خلفهم أو مرّوا بكَ فمضيتَ معهم)) ابن منظور السابق، ج2، ص13، والإتْباع والاتِّباع في اللغة سواء.

وأما في الاصطلاح فهو مماثلة صوت الحركة عند النطق به لصوت حركةٍ أخرى؛ أي: أن تتبع الحركة أو السكون حركة أخرى سابقة أو لاحقة فتغير عما حقها أن تكون عليه في الأصل لتماثل الحركة المتبوعة بهدف الوصول إلى التجانس والانسجام بين الحركات والتخفيف من الجهد الذي يُبذل بالنطق للصوت، قال أحد الباحثين المحدثين في حركة الإتباع: " هي شكل من أشكال الحركات العارضة في بعض أوضاعها، والتي يجلبها وضع صوتي ما طلبا للتخفيف والانسجام ... وحركة الإتباع هي حركة في وضع غير أصلي نتجت عما يسمى بالإتباع الحركي؛ وهو ضرب من ضروب تأثر الحركات

المتجاورة يبعضها البعض لتحقيق الانسجام الصوتي في الأداء ومظاهره متعددة" حسيني (2007)، ص: 68.

وهذا الضرب من التأثر الصوتي كثير في العربية، وسماه القدماء بتسميات مختلفة منها: المضارعة، والتقريب، والتجنيس، والمشاكلة، وسماه المحدثون بـ: التوافق الحركي، والتماثل الصوتي، وقد عُزيت هذه الظاهرة إلى: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وسفلى مضر، وهذيل، وبعض أهل الحجاز، وأكثروا في استعمالها حتى صارت عندهم كأنها أصل يُقاس عليه، وتناوبت عندهم الحركات دون أن يؤثر ذلك في اختلاف المعنى فأدّى ذلك إلى خضوع الكلمة إلى قانون الانسجام والتجانس. ولكثرة دوران الإتباع الحركي عند القبائل المنشغلة به تسرّب إلى القراءات الشاذة فظهرت في أداءات قرّائها.

وقسم علماء العربية الإتباع إلى قسمين: الأول: الإتباع التقدمي، وفيه تتأثر حركة الحرف الثاني بحركة الحرف الأول، وهو الأقيس لجريانه مجرى السب والمسبب، وهو كثير. الثاني: والإتباع الرجعي، وفيه تتأثر حركة الحرف الأول بحركة الحرف الثاني، ويسمّى بالإتباع المقلوب، وسوف نعرض مجموعة من النماذج للتدليل على وجود هذه الظاهرة الصوتية:

1.3 . ظاهرة إتباع الضم للضم:

وقرأ: الحسن البصري والأعمش قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُم رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوانٍ﴾- التوبة:21-، بضم الراء والضاد (رُضُوان) على الإتباع.

إنّ المتتبّع لهذا الإتباع يجد أنّ الكلمة مرّت بمرحلتين؛ الأولى تم فيها إبدال السكون ضمة (رِضُوَان) فوقع استثقال في النطق بالكلمة، لأنّ اللّسان العربيّ يكره الانتقال من كسرة الراء إلى ضمّة الضّاد، وهما حركتان متلازمتان في بناء الكلمة، قال الفرّاء: ((فإنما يستثقل الضمّ والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللّسان والشفتين تنطمّ الرفعة بهما فيثقل الضمّة ويمال أحد الشّدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا))

الفراء (1983) ج:2، ص:13 ، ثمّ جاءت المرحلة الثانية التّي تم فيها إبدال كسرة الرّاء ضمة لإتباع الضم الضم

(رُضُوان) ليحدث بذلك نوع من التجانس الصوتي، والخفة في النطق بالحركتين. وهذا التقريب الصوتي جائز في اللّسان العربي، فهو سنّة من سنن تميم وقيس وبكر في النطق بمثل هذا البناء في الأسماء.

قال طرفة: أَيُّهَا الفِتْيَانُ فِي مَجْلِسِنا جَرِّدُوا مِنْهَا وِرَادًا وشُقُرْ.

يريد شُقْرا، لكنّه حرّك القاف بحركة الشين لإتباع الضم الضم حتّى تماثل لها لئلا ينتقل المتكلّم من حركة إلى حركة مناقضة لها وليكون بينهما تجانس صوتي وخفة في النطق، وهذا مظهر من مظاهر ميل اللّغة إلى اختيار الوسائل اللّغوية التي تجعل من الكلام سهلا في نطقه جميلا في نغماته.

وقرأ: الحسن والأعمش، وإبراهيم وعلقمة بن قيس قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾- آل عمران: 41، بضم الراء والميم(رُمُزًا) على إتباع العين الساكن الفاء الذي حُرك بالضم، مثل: العُسُر واليُسُر. في الحقيقة أن هذه القراءة وقع فيها إبدالان الأول: إبدال الفتحة ضمة. والثاني: إبدال السكون ضمة إتباعا للضمة قبلها.

قال ابن جني:" ينبغي أن يكون هذا على قول من جعل واحدتها رُمْزَة، كما جاء عنهم ظُلْمة وظُلُمة، وجُمْعة وجُمُعة. ويجوز أن يكون جمع رمزة على رُمْز، ثم أتبع الضم الضم. كما حكى أبو الحسن عن يونس أنه قال: ما سُمع في شيء فُعْل إلا سمع فيه فُعُل، وعليه قول طرفة:

وِرادا وشُقُر

يريد شُقْرا." (ابن جني السابق، ج:1، ص:258).

تحليل الظاهرة:

توصل اللغويون العرب القدمى في دراساتهم الصوتية أن الحركات القصيرة يتأثر بعضها ببعض. فتناولوا هذا التأثير وبنوا عليه ظاهرة الإتباع؛ وهي ضرب من ضروب التأثر الصوتي بالحركات القصيرة بين الحروف المتجاورة بعضها ببعض في الكلمة الواحدة، أو هي "ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلمات؛ فالكلمة التي تشمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية" أنيس (1965) ص:86.

لاحظنا من خلال الدراسات القديمة أنها لم تفرد بابا خاصا بهذه الظاهرة، وإنما ضمن ظواهر لغوية مختلفة؛ فهي عند سيبويه مثلا مُتناولة ضمن أبنية الأسماء، وتُعدّ عند ابن جني نوعا من أنواع الإدغام، و علة حدوث هذه الظاهرة الصوتية، ترجع إلى سنن العرب في كلامها؛ وذلك بتقريب الأصوات بعضها من بعض، ويكون هذا التقريب إما عن طريق تغليب الحرف الأول على المتأخر، وإما تغليب الحرف المتأخر على المتقدم، فيحدث بذلك نوع من التجانس الصوتي، والخفة في الاستعمال اللغوي، وقد كثُرت هذه الظاهرة في كلام العرب، وعُزيت إلى: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وسفلى مضر، وهذيل، وبعض أهل الحجاز، فأكثروا في استعمالها حتى صارت عندهم كأنها أصل يُقاس عليه.

وبالرجوع إلى أداء القراء بالشاذ السابقين في قراءة: (رُمُزا)، و (رُضُوان) وتوجيهاتهما نلحظ أنها أشارت إلى مثل هذه الظاهرة الصوتية التي كان المحرك الأساسي لها هو جواز تحريك الساكن بالضم إتباعا للضمة قبله حتى تماثل لها لئلا ينتقل القارئ من حركة إلى حركة مناقضة لها، وهذا الانتقال الحركي من المفروض أن يجعل النطق خفيفا على اللسان، غير أن هذه القراءة خالفت هذه القاعدة وجعلته للتثقيل تماشيا مع التطور اللغوي، حيث نجد أحيانا أصواتا سهلة تطورت إلى أصوات صعبة منها في بعض

الحالات ويعود ذلك إلى الظروف الخاصة باللغة التي وقع فيها هذا التحول الحركي. عبد التواب(2000) ص50،

وهذا ما جعلنا نتساءل أكثر حول هذه المسألة الصوتية، غير أننا توصلنا إلى أن السبب في ذلك يرجع أساسا إلى أن المتكلم كثُر استعماله له بهذه الطريقة، أو جاء على لغة من لغات العرب من أجل الانسجام الصوتي، وهذا المسلك اللغوي جار على مألوف اللغة العربية.

2.3. ظاهرة إتباع الكسر للكسر:

- قرأ: الأعمش لقوله تعالى:﴿ فَلِإِمِّهِ الثُّلُثُ ﴾-النساء: 11، و:﴿ حَتَّى نَبْعَثَ فِي إِمِّهَا ﴾-القصص:59، و: ﴿فِي إِمِّ الكِتَابِ﴾- الزخرف:4، بكسر همزة (إِمّ) في جميعها إتباعا في حالة الوصل، وهي لغة حكاها سيبويه بقوله:" وقالوا أيضا لإِمِّكَ. وقالوا: اِضْرِبِ الساقَيْنِ إِمِّكَ هابلُ

سيبويه، ج:4، ص:146، والشاهد فيه كسر الهمزة إتباعا لكسرة اللام قبلها لأن أصلها: (أُمُّك هابل)، وهي لغة كثير هوازن وهذيل، واحتج القيسي لمن اختار الكسر بقوله: " بأنّها اسم كثر استعماله؛ و الهمزة حرف مستثقل بدلالة ما أجازوا فيها من البدل و التخفيف و الحذف و نقل الحركة، دون غيرها من سائر الحروف ، فلما وقع أول هذا الاسم وهو " أم " حرف مستثقل و أكثر استعماله و ثقل الخروج من كسر أو ياء إلى ضم همزة ...أرادوا تخفيفه ...فغيروه بأن أتبعوا حركة ما قبله ليعمل اللسان عملا وحدا، و الياء كالكسرة فإذا ابتدؤا ردوه إلى الضم" القيسي(1995) ج 1 ، ص379، ولهذا كسر الأعمش ومن تبعه الهمزة الأولى إتباعا لكسرة اللام قبلها، وكسر الثانية والثالثة مناسبة للياء قبلها، وإذا زال هذا الشرط فالضم باتفاق وهو مذهب جمهور النحاة، لأنه اسم كثُر استعماله وصدر بالهمز وهو حرف مستثقل وكان

مسبوقا بكسرة أو ياء فكرهوا الخروج من ضم الهمز إلى ذلك الكسر فلمّا استثقلوا النطق به جنحوا إلى التخفيف بالإتباع والانسجام الصوتي .

وقرأ: النخعي قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾- الأنفال:41، (فَأَنَّ للهِ خِمْسَهُ) بكسر الخاء إتباعا لكسر الهاء قبله.

ذهب علماء اللغة في إتباع الكسر للكسر أنّ له نظائر في كلام العرب نحو قولهم: مُنْتُن بضم التاء، وهو مُنْحُدُر من الجبل، وفيه ثلاث لغات: مُنْتِن، وهو الأصل، ثم يليه مِنْتِن، وأقلها مُنْتُن، وقالوا في (مِنْتِن) بكسر الميم إتباعا لكسرة التاء، ولم يعتدوا بالنون حاجزا لخفائها وسكونها وكونها غنة في الخيشوم وهي لغة تميم. ابن سيدة (د- ت) ج11، ص206.

- وقرأ: الأعمش و طلحة وابن مسعود ويحي قوله تعالى: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)- النمل: 14، بكسر العين واللام وبقلب الواو ياءً(عِلِيًّا).

ذهب علماء اللغة إلى أنّه قُرئ: عُليّا وعِليّا بالضم والكسر كما قرئ: عُتيّا وعِتيّا"، أي أنها كُسرت العين إتباعا لكسرة اللام، حيث الواو قُلبت ياء، وكُسرت العين واللام لأن الأصل فيها: (فُعُول)، لكنهم كسروا العين إتْباعا. (أبو حيان الأندلسي 1993 ج7، ص57).

تحليل الظاهرة:

إنّ من طبيعة اللغة الجنوح إلى الأخف في الحروف والحركات، وهذا هو القياس في العربية، والكسرة أثقل من الضمة، وهذه أثقل من الفتحة، وبعض الحروف أثقل من بعض، والهمزة ثقيلة لأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وتكون أثقل إذا كانت عليها ضمة بعدها كسرة لأن فيها ينتقل اللسان من أعلى إلى أسفل بحيث ينكسر الحنك مما يولد ثقلا في النطق بالكلمة، واللغة العربية تميل دائما إلى التخفيف، لذلك نجد أن

بعض اللغات تميل إلى إتباع حركة إلى حركة تماثلها من ذلك إتباع الكسر للكسر، فرغم ثقلهما ترى أن النطق بها بهذه الصورة يكون أخف من الانتقال من الضم إلى الكسر، وقد بين ذلك الفرّاء في قوله:" فإنما يستثقل الضمّ والكسر لأن لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين تنطمّ الرفعة بهما فيثقل الضمّة ويمال أحد الشّدقين إلى الكسرة فترى ذلك ثقيلا" الفراء السابق ج2، ص13.

وإتباع الكسر للكسر ظاهرة كباقي الظواهر الصوتية الغرض منها سهولة النطق بهذه الكلمات، وخفتها على اللسان لأن هذا التتابع الحركي يجعل عمل اللسان من وجه واحد فيكون جهده أخف منه لما يكون الانتقال من الكسر إلى الضم أو العكس والعرب تكره ذلك، ويظهر هذا التناسب الموسيقي وهذا النزوح الحركي نحو الكسرة جليا في ميل بعض القبائل العربية إلى الكسر. فقد ورد عن بعض التميميين قولُهم:(مِنْتِنْ) بكسر الميم إتباعا لكسرة التاء من (مُنتِن) بضم الميم، (المطلبي(2007)، ص ص125، 126)، كما ورد عن بعض العرب أيضا الكسر في همزات الكلمات: (فلإمه)، و(في إمها)، و(في إم الكتاب). وحسب مذهب جمهور اللغويين فإن هذا الإتباع يعود أساسا إلى سببين:

أولاهما: أن هذه الهمزة قد سبقتها كسرة أو ياء، ولما استثقلوا الهمزة لأنها حرف ثقيل، وكرهوا الضم بعد الكسر أو الياء وليس في كلامهم (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين اتّبعوا الكسرة الكسرة تشبيها لها بالكلمة الواحدة.

وثانيهما: أن الهمزة قد كثر استعمالها عند العرب؛ لذلك كثيرا ما كان يلحقها التغيير من قلب وتخفيف؛ فهي قريبة من الهاء من حيث المخرج، وبعض العرب يكسرون الهاء إذا وليتْ كسرة أو ياء مثل قولهم: (مِنِهم وعليْهِم)، فعاملوا الهمزة معاملة الهاء.

وبعودتنا إلى قراءات الأعمش والنخعي السابقة وتوجيهاتها نستنتج أنها أجازت في القراءة الأولى على مذهب الجمهور، أو على لغة هوازن وهذيل الميل إلى الكسر إتباعا للكسر قبلها في

همزة (أم) في: (فلإمه)، و(في إمها)، و(في إم الكتاب) للتخفيف. وأجازت في القراءة الثانية والثالثة إتباع الكسر للكسر أيضا معتمدة على مبدأ التأثير والتأثر مع الميل إلى تخفيف المستثقل من الكلام، حيث أنه لما ثقُل اللسان الانتقال من ضم إلى كسر لِما في ذلك من جهد إضافي انقلبت الضمة كسرة ليسهل على اللسان العمل من جهة واحدة، فيكون النطق سهلا، والجهد أقلّ.

3.3. ظاهرة إتباع الفتح للفتح:

- قرأ: الحسن البصري وابن عباس لقوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾- النساء: 143، بفتح الميم والذالين (مَذَبْذَبِينَ) ، قال ابن عطية :"هي قراءة مردودة" (ابن عطية (2001) ج2، ص127)، غير أنّ أبا حيان دافع عن هذه القراءة وقبلها لسببين :الأول: كونها صادرة عن قارئ يعتبر من أفصح الناس ويحتج بكلامه. والثاني: أن لها وجها في العربية، وهو أن تتبع حركة الميم حركة الذال، وهي شبيهة باتباع حركة الميم بحركة عين الكلمة في مثل: مُنْتُن وبينهما حاجز، وقراءة الحسن وابن عباس كان الإتباع فيها بغير حاجز وهي أولى (أبو حيان السابق ج3، ص394).

- وقرأ: الحسن قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾-الحج:5، بفتح العين(الْبَعَثِ)، وهي حرف من حروف الحلق التي يجوز فيها التسكين والتحريك.

ذكر جميع الكوفيين أن كل ما كان ثانيه حرفا من حروف الحلق، وكان مُسكّنا مفتوح الأول جاز فيه فتح المُسكّن نحو: نَعْل ونَعَل، وشَعْر وشَعَر، ونَهْر ونَهَر، ونَخْل ونخَل. فأما البصريون فيزعمون أن ما جاء من هذا فيه لغتان تُكُلِّم به على ما جاء". وما كان لم يُسمع لم يَجُز فيه التحريك نحو وعْد (الزجاج (1998) ج3، ص411)، وبهذا الجواز قال النحاس غير أنه يرى أن هذا التحريك يكون في حروف الحلق وغيرها مثل: قدْر وقدَر، والدال ليست من حروف الحلق (النحاس (1998) ج3،ص87).

نستنتج مما سبق أن الكلمات التي يكون فيها حرف حلق ساكن ويحل ثانيا يجوز فيه التحريك لأنه أخف، والسرّ في ذلك هو أنّ كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا يناسبها من أصوات اللين أكثر اتساعا، وتلك هي الفتحة.

تحليل الظاهرة:

رأينا في الظواهر السابقة أين اتّبعت الفتحة وهي خفيفة حركات مماثلة وهي الضمة

كونها ثقيلة لدواع صوتية تطرق إليها علماء اللغة وذكرناها فيما سبق، ولعل أهمها التخفيف وكثرة الاستعمال، وهي مبررات كافية للتدليل على هذه الظاهرة والحكم بصحتها، رغم أنها قراءة مردودة حسب ما ذهب إليه ابن عطية ذلك لأن الفتحة من الحركات الخفيفة ولا تأثير لها حيث تخرج من خرق الفم بلا كلفة، والإتباع إنما يكون في الحركات الثقيلة كالضمة والكسرة. غير أنه يجوز شذوذا مثل هذا المسلك الصوتي، وهذا ما استنتجناه من خلال رأي أبي حيان في توجيه قراءة الاتباع للفتح (مَذَبذبين)، ومثله اختيار الفتح كقراءة (البَعَث) وهو خفيف بدلا من السكون إذا كان على حرف حلقي وهو أخف منه ليعمل اللسان من جهة واحدة خاصة وأنّ هاتين القراءتين مرويتان عن مجموعة من القراء ولم يكتف بها قارئ واحد، مما يعني فشو هذه الظاهرة، ولأنّ القراء اعتمدوا كثيرا على المشافهة والنطق لا على التدوين والكتابة فمالوا إلى الانسجام الصوتي.

4.3. ظاهرة الإتباع على الأصل:

- قرأ: الحسن البصري قوله تعالى:﴿ وَأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾- التوبة: 1، بكسر نون (مِنِ) على الإتباع ، وكذلك ما أشبهه، وهي لُغيّة حكاها سيبويه عن ناس من العرب ، وعزيت إلى أهل نجران وهي أول القياس، تكسرها لالتقاء الساكنين. غير أنه كثُر استعمال (مِن) مع لام المعرفة فهربوا من توالي كسرتين إلى الفتح. (ابن جني (1998) ج1، ص399).

قال سيبويه:" وقد اختلفت العرب في(مِن) إذا كان بعدها ألف وصل غير ألف اللام، فكسره

قوم على القياس، وهي أكثر في كلامهم، وهي الجيدة. ولم يكسروا في ألف اللام لأنها مع ألف اللام أكثر، لأن الألف واللام كثيرٌة في الكلام تدخل في كل اسم، ففتحوا استخفافاً، فصار منَ اللهِ بمنزلة الشاذ. وذلك قولك: منِ ابنك ومنِ امرئٍ، وقد فتح قوم فصحاء فقالوا: منَ ابنك، فأجروها مجرى مِنَ المسلمين." (سيبويه السابق ج4، ص ص154، 155).

تحليل الظاهرة:

عند تتبعي لآراء اللغويين حول مسألة كسر نون (مِن) وفتحها وجدت أن الأكثر فيها هو كسرها إذا كان بعدها ألف وصل، مثل: (مِنِ ابنكَ)، أو ألف اللام مثل:(مِنِ المُسلمِين) وهو القياس. غير أنه لما كثُر استعمالها مع الألف واللام فتحوها هروبا من توالي كسرتين لأن في ذلك ثقل على اللسان. فأصبح فتح نون (مِن) مع الألف واللام وهو ليس بالقياس قياسا، والقياس فيها وهو كسرها بمنزلة الشاذ، والشيء قد يخرج عن الأصل، ويكثر استعماله فيكون أفصح من أصله، بل قد لا يستعمله المتكلم إلاّ نادرا، ولا أرى هناك مانعا في أن يكون هذا المنحى الصوتي من باب الإتباع حيث أنه إذا تعارضت قوة القياس وكثرة الاستعمال قُدِّم ما كثر استعماله، وإن كان شاذاً عن القياس للسبب نفسه، وإذا عدنا إلى قراءة الحسن السابقة نستنتج أنها أجازت على الأصل،

أو على لغة من لغات العرب كسر نون (مِنِ المشركين) إذا جاءت بعدها ألف اللام هروبا من الأثقل إلى الأخف.

5.3. ظاهرة إتباع حركة الإعراب لحركة البناء:

- قرأ: الحسن البصري و رؤبة بن العجاج، ومحمد بن السمبفع اليماني قوله تعالى: ﴿ الحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾- الفاتحة: 2، بكسر الدال (الحمدِ لِلّه) حيث وقع في القرآن الكريم إتباعا لكسرة الدال. كما قرأها بفتح الدال واللام (الحمدَ لَلّه) إتباعا لنصب الدال على إضمار فعل. علّل الفرّاء هذا الوجه بقوله:" وأما من خفض الدال

من (الْحَمْدُ) فلأنّ هذه كلمة كثرت على ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمّة بعدها كسرة ، أو كسرة بعدها ضمّة ، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل إبل فكسروا الدال ليكون على المثال من أسمائهم" (الفراء السابق ج1،ص3)، والمعنى قريب منه ذهب إليه ابن جني حيث يرى أن هذا المسلك سببه كثرة دورانه على الألسن، وشيوع استعماله، ولما اطّرد هذا ونحوه لكثرة استعماله أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء حتى صار كإِبِل وإِطِل ابن جني السابق ج1، ص111، وقال النحاس: " فإن هذه اللفظة تكثر في كلام الناس والضم ثقيل ولا سيما إذا كانت بعده كسرة فأبدلوا من الضمة كسرة وجعلوها بمنزلة شيء واحد، والكسرة مع الكسرة أخف" (النحاس السابق ج1، ص170)، في حين ضعفها بعض العلماء، وجعلوها شاذة في القياس والاستعمال (ابن جني السابق ج1، ص111) لأن فيها إتباع حركة إعراب لحركة غير إعراب وهذا منافٍ لخصائص اللغة العربية وإبطال للإعراب وهذا لِما جناه البناء الأضعف على الإعراب الأقوى. لكن لا مانع من هذا الأسلوب في الكلام للتناسق الصوتي الذي يحقق الاقتصاد في الجهد العضلي، وهي سمة تتميز بها لغة العرب، فقد نُسبت هذه القراءة إلى بعض القبائل العربية، فهي موافقة للهجة بني تميم، وبعض غطفان. أما من حيث الإعراب فيكون في ذلك مقدرا منع من ظهوره شغل الكلمة بحركة الإتباع.

- وقرأ: الأعمش و أبو جعفر يزيد بن القعقاع، والشنبوذي قوله تعالى:﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اُسْجُدُوا لآدَمَ﴾- البقرة: 34، بضم التاء (لِلْمَلاَئِكَةُ اُسْجُدُوا) على لغة قبيلة أزد شنؤة. وُصفت هذه القراءة عند أكثر العلماء بالضعف واللحن(العكبري (1993)ج1، ص147، وتعليلهم في ذلك أنه لا يجوز إتباع حركة إعراب وهي أقوى لحركة بناء وهي أضعف، والمشهور أن يتبع الضعيف القوي وليس العكس، ولكن الأقرب فيها أن الأعمش حرص على الانسجام الصوتي والإتباع على الرغم من أنه يؤثر على الإعراب، و

وجهها أن التاء ضمت اتباعا لحركة الجيم، وهو ضرب من الانسجام الصوتي، والتماس الخفة بتقريب النطق بين الحركات، فلو لم يتبع ذلك لثقل على اللسان الانتقال من الكسر إلى الضم، والعرب تكره ذلك لأنه يخالف ما اعتادته ألسنتهم من تآلف للأصوات وما نشأت عليه طبائعهم اللغوية.

تحليل الظاهرة:

إن الإتباع أداء لغوي لبعض الأصوات في الكلام. ولا شك أن إتباع حركة الإعراب لحركة البناء واحد من هذا المسلك الصوتي، وهو ضرب من ضروب التماس الخفة في النطق، ويكون بين الحرف الأخير من الكلمة الأولى والحرف الأول من الكلمة التي تعقبها، لكن إذا الإتباع يمس حركات الإعراب فالقياس أن تتبع حركة البناء حركة الإعراب ويعود ذلك إلى كون حركة الإعراب أقوى من حركة البناء. وإن كان العكس فإن ذلك يؤثر في تغيير حركة الإعراب، وأن تغييرها يقتضي جعل حركة الإعراب مقدرة، والإعراب الظاهر أولى من الإعراب المقدر، وأوضح منه، لكن إذا عدنا إلى القراءتين السابقتين وهما واحدة من هذه الظاهرة، نجد أنهما جوزتا إتباع حركة الإعراب لحركة البناء على لغة من لغات العرب. ولعل علة هذا الجواز فيما أرى يعود إلى كثرة دوران هذا النمط الصوتي على ألسنة العرب هروبا إلى الأخف لكثرة الاستعمال، والشيء إذا كثُر استعماله تعرض للتبدل والتغيير من جهة، وأنه ليس له تأثير على المعنى من جهة أخرى.

الخاتمة:

خلصت هذه الورقة البحثية إلى النتائج التالية:

- الانسجام الصوتي ظاهرة صوتية لم يغفل عنها القدماء والمحدثون حيث تناولوها من الناحية الصوتية أكثر من غيرها من النواحي اللغوية الأخرى.

- الانسجام الصوتي مظهر من مظاهر تسهيل نطق أصوات الكلمات التي يُشعر بثقلها على اللسان.

- الانسجام الصوتي ظاهرة صوتية تحدث في مقاطع الكلمة الواحدة، والمقاطع المتجاورة نزوعاً إلى التوافق الحركي واقتصاداً في الجهد المبذول

- يعدّ الإتباع مظهرا من مظاهر التطور الصوتي للغة العربية يحدث بين الصوائت المتجاورة طلبا للتخفيف والانسجام الصوتي.

- أطلق عديد علماء العربية على الإتباع الحركي تسميات كثيرة منها المضارعة، والتقريب، والتجنيس، والمشاكلة، والتوافق الحركي، والتماثل الصوتي.

- يعدّ الانسجام والإتْباع مصطلحين مترادفين، وكل منهما سبب ومسبب في الوقت نفسه.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أحمد مختار عمر(1428)، معجم اللغة العربية المعاصر، ط1.عالم الكتب، القاهرة.

2- ابن جني (أبو الفتح عثمان) (1998)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1.

3- ابن جني، الخصائص، (1990)، تحقيق: محمد علي النجّار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية.

4- حسيني أبو بكر(2007)، أداءات القراء دراسة في مستويات التحليل اللغوي، مكتبة الأدب، القاهرة، ط:3.

5- أبو حيان (محمد بن يوسف1993)، البحر المحيط، تح: عادل عبد الموجود وعلي محمد غوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:1.

6- خليل إبراهيم العطية (1983)، في البحث الصوتي عند العرب، سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ للنشر، بغداد.

7- رمضان عبد التواب(2000)، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط:2.

8- سيبويه: (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (2009)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:5.

9- ابن سيدة (أبو الحسن علي بن إسماعيل) المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د-ت) .

10- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب) (2001)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1.

11- الأخفش (1411) ، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة، الخانجي، القاهرة ، مصر، ط: 1.

12- الزجاج: (أبو إسحاق إبراهيم بن السرّي) (1988)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:1.

13- العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (1993)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

14- غالب فاضل المطلبي(2007)، لهجة قبيلة تميم وأثرها في الجزيرة العربية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط:1.

15- الفراء، (أبو زكريا يحي بن زياد) (1983)، معاني القرآن، تح: عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:3.

16- القيسي، مكي بن أبي طالب (1995)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:5.

17- محمد أحمد خاطر(1979)، في اللهجات العربية مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة.

18- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) (2008)، لسان العرب، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ط:3، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.